

اللمعة في تفسير سورة الجمعة

محاضرة مفرغة مع زيادات وتهذيب

لأبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري

الزُّعْكَري

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٨٧٧): عَنِ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: اسْتَخْلَفَ مَرْوَانَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَصَلَّى لَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْجُمُعَةَ، فَقَرَأَ بَعْدَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ، فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ، قَالَ: فَأَذْرَكْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ حِينَ انصَرَفَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ قَرَأْتَ بِسُورَتَيْنِ كَانَ عَلَيَّ بِنُ

أَبِي طَالِبٍ يَقْرَأُ بِهِمَا بِالْكُوفَةِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ بِهِمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ».

وفيه رقم (٨٧٨): عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَتَبَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَسْأَلُهُ: أَيُّ شَيْءٍ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، سِوَى سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ هَلْ آتَاكَ».

والذي يتأمل حال والنبى صلى الله عليه وسلم ويتأمل أقواله يجد فيها الخير والنفع العظيم في الدنيا والآخرة.

كيف لا وهو المبلغ عن الله والمبين لكتاب الله والناطق بتوحيد الله ووحيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فهذه السورة التي كان يتلوها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الجمعة فيها خير عظيم.

وقد كان يقرأ في الجمعة بسورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ [الأعلى: ١]، والغاشية كما في حديث النعمان وغيره.

وفيها من المواعظ ما الله به عليم: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢]، فناسب الإتيان بهذه السورة بعد موعظة الجمعة كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

فإنما يجب عليك التبليغ: ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر: ٤١]، وهنا قال الله عز وجل: ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١]، أي: هذه الموعظة التي سبقت صلاة الجمعة تذكير وتعليم وهذه وظيفتك، وهذا ما تستطيعه مما أمرك الله به، وإلا فإن هداية التوفيق خاصة بالله عز وجل وأنت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وفي الآية الأخرى يقول الله عز وجل: ﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ [الأعلى: ١٠-١١].

فناسب الإتيان بها بعد موعظة الجمعة؛ أن من تذكّر كان من السعداء ومن لم يتذكّر ولم يتعظ كان من الأشقياء؛ لأن المواعظ و العلوم إنما يستفيد منها أهلها، وفي هذه السورة التي نريد أن نتكلم عنها الليلة سورة الجمعة ففيها حث وإخبار وفيها أمر ونهي وفيها الشئ العظيم كما سترى إن شاء الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾: يخبر تعالى أنه لتمام ملكه وقهره وقوته يسبح له من في السموات والأرض، من بر وفاجر، ومؤمن وكافر، وحجر وشجر، وملائكة وجن، فكلها خاضعة دالة على تنزيه الله تعالى عن النقص والعيب، وأنه تعالى متصف بالكمال المطلق من كل وجه في قدرته، وملكه وحكمته وعلمه وقهره وسلطانه وغير ذلك من خصائصه، فهو رب العالمين ومالك يوم الدين، وله ملكوت السموات والأراضين.

فمن أنت وما أنت أمام السموات وما فيها والأرضين وما فيها؟ فالله عز وجل غني عن طاعاتك وعن قرباتك، وإنما تقدم لنفسك وتعمل لغدك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن ناشيها

وتسبيح المخلوقات لله تعالى كما قال العلماء: بلسان الحال أو بلسان

المقال.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، حتى الكفار الذين يكفرونه بأفعاله وأقوالهم واعتقاداتهم وجودهم يدل على عظمة الله وعلى قدرته وعلمه وحكمته وعزته إلى غير ذلك من أوصاف جماله وخصال كماله.

فعليك أن تسبح أيها المسلم بلسان حالك وبلسان مقال أي: تكثر من

تسبيح الله عز وجل بلسانك: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله

أكبر)، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث أبي هريرة عند مسلم:

«لَأَنَّ أَقْوَلَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا

طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، ومعنى سبحانه الله: تنزيه الله عن كل نقص وعيب، ومعنى الحمد لله: تعالي إثبات كل كمال لله عز وجل، وتستلزم سبحانه الله إثبات كل كمال؛ لأنه إذا كان منزهاً عن النقائص فلكماله وتستلزم الحمد لله تنزيه الله عن النقائص؛ لأنه إذا كان كاملاً فهو منزّه عن النقائص والمعائب.

قوله تعالى: ﴿ الْمَلِكِ ﴾ وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٣٣): "الملك المالك: الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد، ومماليك، ومضطرون إليه وهو الأمر الناهي المعز المذل الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى كالعزيز الجبار المتكبر، الحكيم، العدل، الخافض، الرافع، المعز، والمذل، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الوالي، المتعالي، مالك الملك، المتسلط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك. انتهى

وفي الآية بيان ملك الله تعالى للموجودات فالله عز وجل يقول: ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن: ١]، بيان من الله تعالى لملكه المطلق للسموات وما فيها وللأرض وما فيها ومثل هذه الآية كثير في كتاب الله تعالى منها قول الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[الملك: ١]﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْءِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة: ٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سعة ملك الله تعالى وعظمته، فإين الجبارون والمتكبرون مما هم فيه أمام عظمة من ذلت لعظمته الرقاب، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتَقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي

فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

ولتمام ملكه تعالى له الحمد المطلق ف(ال) تفيد الإستغراق أي: أن جميع المحامد ثابتة له تعالى على أكمل الوجوه، وأعظم الخصال فله الحمد في ربوبيته والحمد في ألوهيته والحمد في أسمائه وصفاته.

وقد حمد الله تعالى نفسه في مواطن من كتابه وحمده الحامدون فمنها قوله

تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ

الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤]، وقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١]،

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي

الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

إلى غير ذلك من الآيات والحمد هو ذكر صفات الله تعالى مع حبه

وتعظيمه وإجلاله، ومواطنه كثيرة بينت بعضها في شرحي على الواسطية.

ثم قال الله عز وجل في وصف نفسه حيث استحق هذا التسييح وهذا

التحميد وهذا التهليل: ﴿ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ فالله عز وجل هو

الملك الذي له الملك المطلق الملك الذي لا يعجزه شيء: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]،

فالله عز وجل لا يعجزه شيء له الملك المطلق ملوك الأرض عاجزين ملك لكن إنما أوتي مما يوتى بني آدم يأكل، ويشرب، ويتلهى، ويلبس، ويتنعم، لكن لا يستطيع أن يتصرف في دقائق قلبه ولا يتصرف في قلوب خواصه ولا يتصرف في حياة زيد أو موته أعداءه كثر ما استطاع أن يتخلص منهم، وحاجته ماسة ما استطاع أن يقضيها فهو بشر محتاج إلى غيره، بينما الله عز وجل وله المثل الأعلى له الملك المطلق، ونزيد على ما تقدم لبيان عموم ملكه وقهره قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا * الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، فإذا كان هو الملك المطلق وكل ملوك الدنيا فقراء إليه فيقتضي أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿ الْقُدُّوسِ ﴾ المنزه عن المعاييب والنقائص، والذي تثبت له جميع المحامد، وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٠٨): قال رحمه الله تعالى: " ومن أسمائه القدوس السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتمتزة عن جميع العيوب، والمتمتزة عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال ﴿ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿[الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة:٢٢]. فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه؛ لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان ومن كل ما ينافي كماله. فهذا ضابط ما ينزه عنه، ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثل أو شبيه أو كفو أو سمي أو ند أو مضاد، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها.

ومن تمام تنزيهه عن ذلك: إثبات صفات الكبرياء والعظمة له فإن التنزيه مراد لغيره ومقصود به حفظ كماله عن الظنون السيئة كظن الجاهلية الذين يظنون به ظن السوء، ظن غير ما يليق بجلاله وإذا قال العبد مثنيًا على ربه "سبحان الله" أو "تقدس الله" أو "تعالى الله" ونحوها كان مثنيًا عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال". انتهى

وعن عائشة بآئته: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

وقوله تعالى: ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: أي ذو العزة وهي تمام القوة والقهر، فالله عز وجل قوي لا يكرهه شيء ولا يعجزه: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ [الأنبياء: ٤٢]، عزيز ذو البطش الشديد الفعال لما يريد.

وفي تفسير أسماء الله الحسنی للسعدي (ص: ٢١٤): قال رحمه الله تعالى: "هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة فهو تعالى كامل القوة عظيم القدرة شامل العزة ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]."

العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليفة وخضعت لعظمته.

فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم. انتهى

وقوله تعالى: ﴿الْحَكِيمُ﴾ الحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها.

والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والإطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها

منازلها اللاتقة بها في خلقه، وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه فإنه خلق الخلق بالحق، ومشملاً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته، وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن، والانتظام، والإتقان لم يقدرُوا، وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه، ويطلعوا على بعض ما فيها من الحسن، والإتقان.

وهذا أمر معلوم قطعاً بما يعلم من عظمته، وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق، والأمر، وقد تحدى عباده، وأمرهم أن ينظروا، ويكرروا النظر، والتأمل هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصاً، وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليله عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا، وأي

فضل، وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحده، وشكره، والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق. [انتهى من تفسير أسماء الله الحسنی للسعدي (ص: ١٨٦)].

فجزته مقترنة بحكمته ولذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وفي الحديث القدسي: «إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»، والحكمة هي وضع الشيء في موطنه ولهذا يجمع ربنا سبحانه وتعالى في آيات الوعيد: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: أنه قادر على إنفاذ وعيده لكن اقتضت حكمته أن يؤخر الوعيد إلى يوم القيامة، وإلا لو أراد أن ينتقم من العصاة وأن يصدهم ويدمرهم ويزلزلهم فعل، وقد فعل بقوم نوح فأغرقهم وبقوم فرعون فأغرقهم، وبقوم لوط فحسب بهم، وبقوم عاد فسخر عليهم الريح، وبقوم ثمود فسخر عليهم الصيحة، وبقريش فسخر عليهم السيف، فالله عز وجل له الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الأُمِّيُّونَ: العرب، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ، وَلَا نَحْسُبُ»، وقد انتشر فيهم أكثر الشرور وأعظمها الشرك والتنديد والقتل وغير ذلك، كما في حديث المغيرة بن شعبه رضي الله عنه عند البخاري: وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلٌ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيَكَلِّمَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي

شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الْجِلْدِ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ، وَتَلَبَّسُ الْوَبَرِ
وَالشَّعَرِ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَرَبُّ الْأَرْضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ
وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ
وَحْدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ
مَنْ قُتِلَ مِنْنا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنْنا مَلَكَ
رِقَابَكُمْ».

وفي حديث أم سلمة عند أحمد شيء من ذلك ومنه قول جعفر رضي الله
عنه للنجاشي: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةِ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ
وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقَطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْ الضَّعِيفِ،
فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْنا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ،
وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ
دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ
الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ،
وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا
نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ "، قَالَ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ
الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ
نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا،

فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرَدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، حَرَجْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

فبعث الله تعالى إليهم نبياً من أنفسهم وهذا لامنح أن يكون قد أرسل إلى غيرهم على ما هو معلوم، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به ومن الأدلة أنه رسول الله إلى الناس عامة قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي مسلم عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَحُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ

يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأَحِلَّتْ لِي الْعَنَائِمُ،
وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ
أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ،
وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»، متفق عليه.

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
يبين سبحانه وتعالى تمام منته وكرمه وفضله عليهم: أن بعث فيهم رسولا
يتكلم برسالته يعرفون نطقه ونسبه، ويعرفون فضله وهو صلى الله عليه وسلم
أمي مثلهم لا يقرأ المكتوب، وما جاء أنه خط بعض الكلمات فهذا من دلائل
نبوته وإلا فإنه لما أتاه جبريل قال له: اقرأ قال ما أنا بقارئ، أي: لا يستطيع
القراءة، وهذه نعمة عظيمة أن ييسر الله لك من يسمعك ويعلمك إذا جهلت
ويذكرك إذا نسيت إلى غير ذلك.

واحمدوا الله أن جعلكم تتكلمون باللسان العربي غيركم يتعب كثيرا
يحبون الدين لكن لا يفقهون ولا يفهمون ولا يعون ولا يحفظون؛ لأن القرآن
بغير لغتهم، وإذا حفظ يعاني ويتعب وينصب وأنت جعلك الله تتكلم لغة
العرب فتفهم كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أيضا من أسباب الزكاة: يزكك بطاعة الله ويعلمك الأسباب
التي تؤدي بك إلى الجنة، ويحذرك من الأسباب التي تؤدي بك إلى النار،

يعلمك مكارم الأخلاق ويحذرك من سفاسفها، يعلمك التواضع وينهاك عن الكبر، يعلمك العلم وينهاك عن الجهل، يعلمك الطاعة وينهاك عن المعصية، يعلمك التوحيد وينهاك عن الشرك، يعلمك السنة وينهاك عن البدعة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨)

زكاة أي والله طاعة النبي الله صلى الله عليه وسلم زكاة، زكاة للقلوب، زكاة للأعمال، زكاة للعقائد، زكاة في الدنيا والآخرة صاحبها يثنى عند الله وعند الصالحين من عباد الله، صاحبها مقدّم في الدنيا والقبر والآخرة، صاحبها صاحب رفعة: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

فقوله: ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوم كانوا يأكلون الميتة، ويقطعون الأرحام، ويأتون الحرام، ويشربون الخمر، ويعبدون الأصنام، ويأكلون الربا، فزكاهم هذا النبي صلى الله عليه وسلم بإتباعهم هذا النبي وصاروا سادة وقادة، فمرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقتة قال: جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أنكح عناق قال: فسكت عني فنزلت: ﴿ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: ٣]، فدعاني فقرأها علي وقال: «لَا تَنْكِحُهَا»، فانظر زكاة في طاعة رسول الله صلى

الله عليه وسلم زكاة، في طاعة أمر الله زكاة في اللجوء إلى الله زكاة؛ ولما كان الإنسان يقع في قلبه ما يقع رجع إلى رسول الله فأنزل الله: ﴿ وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحَهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣]، هذا توجيه الله توجيه وتوفيق وتسديد: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة: ٢]. ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.

وزد أيضاً: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أي: الكتاب والسنة والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، أخبر الله عز وجل ما كانوا عليه من أجل أن يعرفوا قيمة تلك النعمة التي كانوا عليها، فكثير من الناس لا يعرفون بالنعمة إلا إذا ذكروا بما كان عليه من الضلال؛ ولهذا قال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩-٢١]، ففررت منكم بسبب أني واقع في هذه المسألة في هذا القتل، وظلمت نفسي وكنت جاهلاً بتعاليم الدين، ولم يكن قد بعث الله إليه في ذلك الوقت، قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [الضحى: ٧]، ثم أمتن الله عز وجل عليه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

نعم يا عباد الله بين الله عز وجل لهم أنهم كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: وآخرين سيستفيدون من هذه الدعوة لما يلحقوا بهم، فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأنهم أناس من فارس في ذلك الزمان، أما أهل فارس الآن رافضة إلا من رحم ربي، فلا يستدل الرافضة الآن بهذا الحديث: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»، من أهل فارس، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُنزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ وَضَعَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»، متفق عليه.

جاء الله بقوم من ذلك البلاد اسلموا وفتح بهم الفتوح، وحفظ بهم الدين كالبخاري ومسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه ومن كان على شاكلتهم، ومن كان من أفرادهم وأسلافهم ممن أطاع الله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]، أيضاً مع قوته اقتضت حكمته إسلام مثل هؤلاء الصالحين الحافظين ليحفظ الله بهم الدين.

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٥]، أي: بالتوفيق والزكاة والهداية والتعليم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا معقب لحكمه ولا راد لقضاه: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

فالمسلم يحمد الله عز وجل الذي تفضل عليه أخرجته من الظلمات إلى النور: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١]، أي: الهداية للإسلام، والمنة به يؤتیه من يشاء من عباده ممن علم بهم الخير وحب الخير وعلم في قلوبهم الصلاح: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

ثم اخبر الله عز وجل عن حال المعرضين عن هذا الإيمان وعن هذا الإسلام فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، الظلم: من أعظم الأسباب للصد عن الهداية سواء كان ظلم الكفر، وظلم الشرك فيما بين العبد وبين ربه، أو كان ظلم المرء لغيره، أو كان ظلم العبد لنفسه، فالظلم عاقبته عظيمة، وهو أنواع وأعظمها الشرك: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ من اليهود ومن النصراني، ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ كذلك مثل الذين سمعوا وتعلموا القرآن ثم ما زالوا على خلافه يشركون، وينددون، ويتعاطون غير ذلك مما يناقض القرآن، ﴿

كَمَثَلِ الْحِمَارِ ❖ سمى الله المعرض عن العمل حماراً، الحمار يحمل الكتب لكن هل يستفيد منها، كما قيل:

زوامل للأشعار، لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير، إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر

يعني: الذي لا يستفيد من علمه كمثل الأباعير؛ ولهذا قال الله عز وجل: ❖
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ
*** وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ**
الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ❖ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، فالله عز وجل
وصف الذي لا يعمل بعلمه بالكلب ووصف الذي لا يعمل بعلم بالحمار
الذي يحمل الأسفار ولا يستفيد منها: ❖ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ**
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ❖ [الجمعة: ٥].

بينما المؤمن له مثل عظيم: مثله النبي صلى الله عليه وسلم بالنخلة، كما في
حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَفْهًا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدَّثُونِي
مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا
النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»،

قال: فذكرت ذلك لعمر قال: لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا. أخرجه مسلم، يعني كل أجزاءها فيها خير، وكلها يستفيد منها الناس بجميع الأوقات واللحظات.

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ علم الله بهم الظلم، علم بهم البغي، علم الله بهم الإعراض: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، فالله له المنة وله الحمد على أن هدانا للإسلام ونسأله أن يتوفانا على ذلك.

ثم لما كان المقام مقام مناظرة لقوم يدعون أنهم على الحق، ويدعون أنهم أهل الاستقامة، ويدعون أنهم أهل الخير، وهذا ديدن قديم حين قاله إبليس اللعين حين قال لآدم: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، يدعي الخيرية؛ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ويقول في موسى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وقال في وصف نفسه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ * أم أنا خيرٌ من هذا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢]، موسى عندهم مهين: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، يعني: لا يكاد يفصح إلى غير ذلك.

والنبي صلى الله عليه وسلم لما كان الموطن موطن مناظرة، وكان اليهود يدعون أنه الله وأنهم أبناؤه كما قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ

اللَّهُ وَاجِبًا وَهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴿[المائدة: ١٨]﴾، بل أنتم بشر نعم: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فهنا يقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾ يا أيها اليهود: ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ إن قلمت أنكم الأولياء والأصفياء، وأنتم الجنس الثاني، وأنتم شعب الله المختار كما تقولون: ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ تمنوا الموت فإذا تمنوه هلكوا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لو فد نجران: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]، خافوا ورفضوا هذه الملائنة، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن حذيفة - رضي الله عنه - أنه قال: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنًا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: «لَا بُعْثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ»، فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ».

يموتون يهلكون فالله عز وجل يقول لنبيه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:٦]. يا أيها اليهود إن كنتم أنتم الأولياء والأصفياء تمنوا الموت حتى تقدموا على ربكم فيجازيكم بأعمالكم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٧]، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخٍ حِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٩٦]، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ لماذا؟

الجواب: لأنهم على ضلال، وإنما يفرح بلقاء الله من؟

الجواب: المؤمن: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:٦]، ومن من الناس الآن أصحاب الأحزاب يزعمون أنهم على الحق، والصوفية يزعمون أنهم على الحق، والشيعية يزعمون أنهم على الحق، والمكارمة لا كرمهم الله ولا صبحهم بخير ولا مساهم يزعمون أنهم على الحق، حتى أنهم في هذه الأيام جاء دعاة الشرك لعنهم الله وأخزاهم إلى اليمن وإذا بهم يعيدون ويحتفلون بهم في حراج.

فنصيحة للمسلمين أن يتبينوا حال هؤلاء الزنادقة والزائرين، أي والله هؤلاء زنادقة المكارمة الإسماعيلية الرافضة زنادقة يفتنوا المسلمين، أما المكارمة ومن تفرع منهم نقل شيخ الإسلام الاتفاق على أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وفعلاً والله هم أكفر ومن اليهود والنصارى، وفي ترجمة علي بن الفضل في الثناء عليه:

أحل البنات مع الأمهات ومن فله زاد حل الصبي
إذا الناس صلوا فلا تنهض وإن صاموا فكلي واشربي
يعني حل البنات عندهم فضل، حل الأمهات عندهم فضل، مخالفة للفطر
والقيم الإنسانية، بل القيم الحيوانية فإن الأبعرة كما يقولون تستكبر أن تأتي
أمهاتها:

لِكُلِّ نَبِيٍّ مَضَى شِرْعَةً وَهَذِي شَرَائِعُ هَذَا النَّبِيِّ
أحل البنات مع الأمهات ومن فضله زاد حل الصبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة وخطّ الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في شرب
ولا تمنعي نفسك المغرسين من الأقربين ومن أجنبي
فكيف حللت لذاك الغريب وصرت محرمة للأب

أَلَيْسَ الْغِرَاسُ لِمَنْ رَبَّهٗ وَسَقَّاهُ فِي الزَّمَنِ الْمُجْدِبِ
وَمَا الْخَمْرُ إِلَّا كَمَاءِ السَّمَاءِ حَلَالٌ، فَقُدِّسَتْ مِنْ مَذْهَبِ

انظر إلى هؤلاء الفجرة، قال الغزالي: وهم يستبيحون الفروج بالإجماع، وقال بعضهم في صفاتهم: أنهم لا يعلمونك دينهم حتى يختبروك في امرأتك، فمن أراد أن يلتحق بهم قالوا: عندنا أسرار لا نستطيع أن نعلمك حتى تفعل ما نأمرك به، فيضل معهم أيام وليالي يريد أن يعرف السر، سر الباطل، السر السر، سرهم الكفر فيقولون له: يا فلان إذا أردت أن تكون على مذهبنا ففلان على مذهبنا فخذنا إلى بيتك وادخله على امرأتك فإذا فعلت ذلك فأنت تستحق السرية، فبعد أن يرضى بالزنا بامرأته وهو ينظر يخبرونه بما شاء؛ لأن عقله اردأ من عقل الحمار أي والله أن الحمار ما يرضى بالحماراة التي يكون بجانبها، والديك بل ربما الكلاب بل إن القرودة كما قال عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قرودة اجتمع عليها قرودة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم.

فنصيحة للمسلمين أن يتقوا الله وأن يحذوا من هؤلاء فهم من أسباب دمار الدول، لا تظن أيها المسلم أن هذا بدولاراته أو بملايينه يستطيع أن يفعل لك شيء، هذا من أسباب دمار الدول لو كانوا على شيء لمكنهم لكن وإن تسلطوا أياماً فهم أردأ والله من الحمير والكلاب والبغال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فو الله أنه يجب على الدولة أن تدمر وأن تخرب عليهم مساجدهم وقبورهم وأماكنهم، كما وضحنا ذلك في كتابنا عقائد الباطنية والمكارمة وخطرها على الأمة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد حرق مجلس الضرار وهو أقل ضرراً من مساجد المكارمة، وأقل ضرراً من مساجد الرافضة الذين ينحرون بالإسلام بالإسلام باسم الإسلام وباسم التشيع لآل البيت، وكما قال: المكارمة على علانيتهم الرفض وباطنهم الكفر المحض.

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٧]، نعم

الله عليم بالظالمين، وعلیم بالصالحين، فإن كان من أهل الصدق الله عليم به، ومن كان من أهل الكذب فالله عليم به فلا تزكي نفسك: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢]، وليس هنا بمعنى لاتعملوا الخير وإنما لاتزكوا أنفسكم أي: تطروها وثنوا عليها فهم أعلم بمن اتقى:

وَكُلُّ يَدْعِي وَصُلَاً بِلَيْلِي وَلَيْلِي لَا تَقْرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ كل الناس: ﴿ ثُمَّ تَرَدُّونَ

إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ عالم الغيب المطلع على الغيب، والشهادة على

الأمر الظاهر: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النغاب: ١١]. ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا

تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا

خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا

ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

ثم قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴾ [الجمعة:٩]، قال ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: إذا سمعت الله يقول:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فأرع لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه.
أرع لها سمعك وقلبك أي: استمع وأصغي؛ لأن هذا النداء من الله لك.
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إذا قال لك أبوك: يا محمد، أما تلتفت إليه حينئذ،
وإذا قال: يا صالح أما تلتفت إليه؟ بلى تلتفت وتنظر ماذا يريد أن يأمر وعما
يريد أن ينهى، فتفعل المأمور وتترك المحذور، فكذلك هذا الباب إذا قال
الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فأرع سمعك واستمع واتعظ، والتفت وافعل
المأمور واترك المحذور، واصبر على المقدور قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ دلالة على أنه ينبغي
للمسلم أن يبادر إلى الطاعات والقربات كما أنه يسعى ويجري للمصالح
الدنيوية، عليه أن يبادر إلى الطاعات والقربات، وعن أبي عبس هو عبد
الرحمن بن جبر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا
عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَسَّهُ النَّارُ»، أخرجه البخاري، وبوب عليه البخاري: باب
باب المشي إلى الجمعة.

وهذا وإن كان في الجمعة خاص فهو عام في جميع الطاعات والقربات: ﴿
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ ﴾ إذا أمرتم بالصلاة صلوا، إذا أمرتم

بالزكاة زكوا، إذا أمرتم بالحج حجوا؛ إذا أمرتم بالذكر اذكروا، إذا أمرتم بمكارم الأخلاق طبقوا، هكذا بما أنه يُطاع في صلاة الجمعة يجب أن يطاع في غيرها.

وسبب نزول الآية: ماجاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١٧].

فأمرهم الله بالسعي للجمعة وترك البيع في حال الجمعة، بل لا يجوز أن تشتري وتبتاع في ذلك الوقت، والبيع محرم ولو كان سواك أو مندبل أو ماء أو أي شيء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، والله عز وجل يعلم مصالح العباد؛ ولهذا أمر بالخير ونهى عن الشر والضير.

والجمعة يوم عظيم من أعياد المسلمين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يوم الجمعة، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ:
 «فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا
 أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يوم الجمعة يوم عظيم يوم فضيل أمتن الله عز وجل به على هذه الأمة
 عرض على اليهود أبوا، عرض على النصارى أبوا، فجاء المسلمون فوقهم
 الله ليوم الجمعة فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «نَحْنُ الْأَخْرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِيَدِ أَنْ
 كُلِّ أُمَّةٍ أُوتِيَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي كَتَبَهُ
 اللَّهُ عَلَيْنَا، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدَا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»،
 أخرجه مسلم

نعم: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فالخيرية كل الخيرية في إتباع
 أمر الله واجتناب نهيه وزجره والله عز وجل عليهم بمصالح العباد؛ ولهذا حثهم
 على الخير وحذرهم من الشر والضير، وحثهم على ما يأتي بهم إلى النعيم
 المقيم، وحذرهم من الشر وما يؤدي به إلى العذاب الأليم.

ثم قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ سبحان الله ما أرحم الله ما ألطف الله
 بعباده، والله لطيف بهم ورحيم بهم، ما قال اجلس في المسجد يومك ونهارك،
 وما جعل أوزارًا وآصارًا عليك بل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

﴿[القمر:١٧]، حرم على اليهود صيد يوم السبت والعمل يوم السبت، أما المسلمين رحمهم وأمتن عليه، اليهود شددوا على أنفسهم فشد عليهم.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ وانتهت الصلاة من الذكر من الطاعة: ﴿ فانتشروا في الأرض ﴾ لمصالحكم لزيارة محارمكم، للعمل في مزارعكم، لذلك البيع والشراء والبحث عن المكاسب: ﴿ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ هذا ليس من فضلكم، هذه دلالة واضحة على أن الله هو المنعم وهو المعطي، فاستحضر مثل هذا أنت أن تخرج من المسجد للسعي ليس بحولك ولا بقوتك ولا بقدرتك ولا بمالك ولا بجاهك، وإنما هو فضل الله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ كما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥].

نعم: ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ وفضل الله واسع، ثم قال: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ ابتغوا من فضل الله واذكروا الله، وإن تبتغي من فضل الله اذكر الله في دكانك، في سيارتك، في مزرعتك، عند أبناءك، عند أصحابك، في طريقك: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وهذا فيه دلالة أن ابتغاء فضل الله طيب، ابتغاء للرزق، وصيانة للعرض، وصيانة للوجه، وانفاق على الأرحام وعلى الأقارب وعلى الأبناء وعلى النفس هذا أمر طيب، لكن

اعلموا أن الفضل العظيم والخير العظيم والسبب العظيم للفلاح هو في ذكر الله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ والله أكثر والله أكبر والله أعظم، وفضائل الذكر كثيرة ومعروفة وليس هذا موطن بسطها.

ثم قال الله عز وجل عن وصف الحال الذي كان في ذلك الوقت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، وهذا كما ذكرنا في حديث جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائمًا يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانقتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١]. متفق عليه.

إذن يا أخي أنت تريد الدنيا وتريد الآخرة، تريد الله والدار الآخرة، تريد الخير العظيم هذا عليك ابتغاء فضل الله والسعي في مرضاة الله والبعد عن معصية الله.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ إذا أنعم عليك بنعم الدنيا من الذي يمنحك، وإذا منعها من يعطيك؟ والله ما أحد: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، أخرجه الترمذي كما حديث ابن عباس رضي الله عنه

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ فالرزق الطيب هو رزق الدين، رزق العلم، رزق القرآن، رزق السنة، وأما رزق الأكل والشرب الحمد لله ما سيضع الله: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِيَّ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، خَذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حُرِّمَ»، هكذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه.

نسال الله لنا ولكم التوفيق والسداد، والإعانة والثبات، والحمد لله رب العالمين.